

تجربة شركة كهرباء القدس في مواجهة الاحتلال

ربيعي المدهون

تنطوي تجربة شركة كهرباء القدس، التي امتدت زهاء ستين عاماً، بدأت مع انطلاق التيار الكهربائي من القدس، في الأول من كانون الثاني (يناير) ١٩٢٨، وأنارت عدداً من المناطق الفلسطينية، على الكثير من سمات الصراع الذي شهدته فلسطين في المراحل المختلفة، وخصوصاً في فترة الانتداب البريطاني لفلسطين، والاحتلال الاسرائيلي للضفة الفلسطينية منذ العام ١٩٦٧. فقد كان توليد الطاقة الكهربائية واحداً من مجالات التنافس وفرض السيطرة الذي اندفعت اليه المجموعات الصهيونية بموازاة اندفاعها نحو السيطرة على الاراضي ومصادرة المياه. وأصبحت السيطرة على هذا الشريان الاقتصادي الهام إحدى أهم دعائم الصناعات اليهودية في فلسطين، واحدى وسائل نفي الوجود الآخر، في محاولة لمنع من الاستفادة من الامتياز الحيوي. وهذا ما أعطى البحث في تجربة شركة كهرباء القدس العربية أهمية خاصة.

يواجه الدارس لتجربة كهرباء القدس عائقين: أولهما، صعوبة الوصول الى الوثائق الخاصة بالشركة، وكذلك نصوص القرارات الاسرائيلية المتعلقة بها؛ وثانيهما، التفاوت الكبير الذي يلحظه الدارس في معدّل صعود، وهبوط، درجة الازمات التي مرّت بها الشركة، ممّا يجعل تقسيم تجربتها الى مراحل تاريخية محدّدة أمراً بالغ الصعوبة، ويقود اعتماده الى غياب التوازن في النص. فقد تباينت، الى حد كبير، طبيعة الازمة التي مرّت بها شركة كهرباء القدس، واختلقت سماتها في الفترة التي سبقت قيام اسرائيل العام ١٩٤٨ عنها بعد الاحتلال الاسرائيلي للضفة الفلسطينية وقطاع غزة العام ١٩٦٧، فيما كانت الازمة اختفت، تماماً، في الفترة الفاصلة بين المرحلتين اَبان فترة الحكم الاردني للضفة. وقد اقتصرَت الفترة الاولى، التي امتدت منذ منحت السلطات العثمانية المواطن اليوناني، يوربيدس مافروماتيس، حق امتياز توليد الطاقة الكهربائية العام ١٩١٤^(١)، وحتى العام ١٩٤٨ على صراع أولي محدود، دار حول الامتياز ومساغي اليهود لشرائه، وامكان منح سلطات الانتداب البريطانية امتيازاً مماثلاً لهم، في حين كان السمة الرئيسية لواقع شركة الكهرباء في خلال الحكم الاردني للضفة هي الاتجاه نحو «اردنتها». أمّا الفترة الثالثة والاخيرة في حياة الشركة، فقد كانت، وبحق، «أم الفترات»، كونها شهدت صراعاً حقيقياً لم يتوقف من اجل الاستيلاء الاسرائيلي على كامل حقوق الشركة ومنشآتها، وتنفيذ الهدف الصهيوني القديم ذي البعد التاريخي، القائم على نفي الوجود الفلسطيني، وحرمان الفلسطينيين من كل مقومات هذا الوجود. وقد كانت هذه الفترة، بالذات، موضع اهتمام جميع الذين بحثوا في قضية شركة كهرباء القدس وأزمته المستعصية.

انطلاقاً من هذه المقدمات، تتجه مفاصل هذه الدراسة نحو «ملاحقة» الوقائع الاساسية في تاريخ شركة كهرباء القدس، وتأثيرها على مسار الشركة في خلال الستين عاماً الماضية، مبتعدة، قدر